مكاوي السلكاوي

هكـذا يلقبونـه، صديـق بائعـي السـوق كلهـم.. رجـل متوسـط الطـول بديـن يحجـل بقدمـه، يعيـش عـل التنطّـع علـى بائعـي الخضـار والفاكهـة وبعـض الجزّاريـن و«الفررجيـة» الذيـن «يفوّتـون» لـه، كلمـا اسـتطاعوا «جنـاح أو قنصـة أو رقبـة» تصلـح لعمـل شـوربة فخمة يتعشـى بهـا عشـاء «مُكـن» كمـا يحلـو لـه أن يقـول.

يقنـع كلّ مـن في السـوق أن لـه أسـرة وأولادًا، يجـري علـى معاشـهم، ولا يكفيهـم كوسـيلة مسـتترة للتسـول، وفي الحقيقـة يعـود كلّ يـوم إلى عشّـته الخشـبية المجـاورة للقطـار؛ ليجدهـا بـاردة صامتـة خاويـة، إلّا مـن بعـض الملابـس المتهالكـة وفـرش قديـم، اختفـت ألوانـه منـذ زمـن، وعـود تمزّقـت أوتـاره يسـتند علـى الحائـط الخشـبي المثقـوب، يجلـس قبالتـه صامتًـا كلّ يـوم، يلـوك طعامـه وعيونـه زائغـة.

سـرت أقاويـل بـين جيرانـه عـن أنّـه كان غنيًّـا في يـوم مـن الأيـام، ولكـن اسـتهتاره ضيّـع أموالـه، كمـا قـال البعـض: إنّـه قتـل زوجتـه بعـد أن اكتشـف خيانتهـا وسـجن لفـترة، وخـرج ليحيـا هـذه الحيـاة المزريـة.

يقولـون ويقولـون.. وهـو مثلـه كمثـل أي إنسـان يحتفـظ بماضيـه لنفسـه، فيصبـح مـادة دسـمة لحكايـا الفضوليـين أصحـاب الخيـالات الواسـعة المريضـة، مـكّاوي كان عـوّادًا يعشـق ألحـان العـود وصوتـه

العـذب، كانـوا يلقّبونـه بصاحـب اليـد الماسـية، كان عزفـه لا يقـل روعـة عـن عـزف فريـد الأطـرش ومحمـد عبـد الوهـاب، التحـق بالعديـد مـن الفـرق الموسـيقيّة الشـهيرة، وعـزف في أنحـاء العـالم كلّهـا، خـبر الدنيـا ولكنـه لم يخـبر الحـبّ قـط، حتّـى رآهـا تصغـره بعشـرين عامًـا، زهـرة رطبـة غضّـة، كانـت مـن معجباتـه المجنونـات بفـن العـزف علـى العـود تطربهـن أوتـاره وتهتـز مشـاعرهن لعُرَبـه ومقاماتـه، تعـرف عليهـا في رحلـة إلى برلـين، أصبحـا أصدقـاء، وكانـت تدلّلـه «بأونـكل ميكي»، كان يبتسـم ويطـرب قلبـه حينمـا تناديـه بهـذا الاسـم.. دلالهـا يداعـب شـوقا خفيـا لـذاق النسـاء وجـذوة شـباب توشـك علـى الانطفـاء، ولكنـه يسـتحي أن يفكـر فيهـا أو تمـر علـى خاطرتـه كأنثـاه المنشـودة، مكتفيًّـا بتحليقهـا حولـه في أغلـب حفلاتـه، كفراشـة نـور تلمـع أجنحتهـا في وهـج الشـمس، وجههـا كان شمسًـا لا تغيـب لا يخفـت ضوؤهـا، وبعـد فـترة غابـت فلـم تعـد تحضـر حفلاتـه أو تتصـل بـه، فظـنّ أنّـه أغضبهـا في شـيء، حـاول الاتصـال بهـا مـرارًا لكـن لا مجيـب، لم يجـد بـدًا مـن الذهـاب لمنـزل عائلتهـا والسـؤال عنهـا، طـرق البـاب ليفتـح لـه والدهـا بوجـه كقطـع الليـل وخلفـه صورتهـا يقبـض علـى جانبهـا شـريط أسـود، لم يتحـدث ولم يسـمع، رحـل في صمـت وهـو يهـرول إلى بيتـه، وحينمـا وصـل بحـث عـن العـود ومـزق أوتـار.